

الشيخ اليوسف: من أهم القواعد في محددات السلوك الإنساني (منح الآخرين الاهتمام)

تحدث سماحة الشيخ الدكتور عباد الله أحمد اليوسف في خطبة الجمعة 17 ربيع الأول 1441 هـ الموافق 15 نوفمبر 2019م عن الاهتمام بالآخرين والعناية بهم في سيرة رسول الله ﷺ ، ومؤكداً على أهمية هذا البعد الأخلاقي في مسار السلوك الإنساني، وإشباع الحاجة الماسة إلى التقدير والاحترام، وامتلاك القدرة في التأثير على الآخرين، ونيل حبهم وإعجابهم وإخلاصهم.

وأضاف: من القواعد الرئيسة في محددات السلوك الإنساني قاعدة: منح الآخرين الاهتمام اللازم، وإشعارهم بأهميتهم ومكانتهم، فهذه القاعدة مهمة جداً في بناء العلاقات العامة، وكسب الكثير من الأصدقاء والمعارف.

وتابع: تعد هذه القاعدة من العوامل المهمة أيضاً في تقوية وتمتين العلاقات العائلية والأسرية والاجتماعية والإنسانية، ونيل محبة الآخرين وإعجابهم، واستجلاب السعادة للذات وللآخرين، واجتناب الكثير من المشاكل والمتاعب في الحياة الخاصة والعامة.

وأشار إلى أن إظهار الاهتمام بالآخرين يولد لديهم مشاعر إيجابية وطيبة ومريحة، ويؤدي إلى زيادة حرارة المشاعر المتبادلة، ويساهم في توليد روح المحبة والمودة والثقة، والشعور بالسعادة والراحة النفسية، وينمي من العلاقات الشخصية والإنسانية بينك وبين الآخرين ممن يتعاملون معك؛ فحتى تكون محبوباً ومهماً في نظر الآخرين كن مهتماً بهم.

وقال: الإنسان بحاجة قوية إلى إشباع الرغبة في التقدير والاهتمام من قبل الآخرين، فمن أشد الحاجات الإنسانية الحاجة إلى الاحترام والاهتمام والتقدير، ومن أعمق الدوافع في طبيعة الإنسان هو أن ينظر إليه على أنه إنسان مهم؛ ويحظى باحترام الناس وتقديرهم، ولذلك فمن يشبع هذه الرغبة في الآخرين يملك قلوبهم، ويسيطر على عقولهم، ويستطيع قيادتهم بسهولة ويسر.

وأوضح أن تجاهل الآخرين وغياب الاهتمام بهم يؤدي إلى توليد مشاعر سلبية، وبرودة في العواطف، وشعور باللامبالاة، بل إلى قد يؤدي إلى توليد أشكال متنوعة من الأمراض النفسية والجنوح والتنمر.

واعتبر أن الكثير من المشاكل في الحياة الزوجية والعائلية، وكذلك المشاكل الاجتماعية تعود إلى غياب الاهتمام بالآخرين؛ مما يؤدي إلى زيادة المشاعر السلبية، وتبلد الأحاسيس، وفطور العلاقات، وتراكم المشاكل والسلبيات.

ثم تطرق الشيخ اليوسف بشيء من التفصيل عن السيرة النبوية المباركة التي تدل على أن رسول الله ﷺ كان شديد الاهتمام بالآخرين والعناية بهم، ومن أشد الناس لطفاً بالناس؛ فما دخل عليه أحد أو التقاه أحد أو جالسه أحد إلا وأبدي له اهتمامه، وأشعره بأهميته ومكانته عنده.

وأوضح أن من أبرز تجليات إظهار الاهتمام بالناس عند رسول الله ﷺ أنه كان يقابل من يلقاه من الناس بالبشر وطلاقة الوجه، ويسلم على من يلقاه بحرارة، ويبدأه بالسلام والمصافحة، ولا ينزع يده حتى يكون الآخر هو من ينزع يده، مما يترك لدى الآخر الانطباع بأنه يحظى بمكانة واهتمام من رسول الله ﷺ.

وتابع: كان من مظاهر الاهتمام بالآخرين عند رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله أيضاً: أنه كان يبادر بإلقاء السلام والتحية على كل من يلقاه من الرجال والنساء، الكبار والصغار، وكان يسلم حتى على الصبيان، ويدعو لهم بالبركة؛ ويمسح على رؤوسهم للتدليل على محبته لهم، ولإشعارهم بأهميتهم، وزرع الثقة في نفوسهم، واستمالة قلوبهم للدين.

وقال: من التجليات البارزة في منح الآخرين الاهتمام عند رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله أيضاً هو اهتمامه الشديد بأصحابه، فقد ورد في سيرته المباركة أنه كان يعتني بأصحابه أشد الاعتناء، فكان إذا افتقد أحداً منهم ثلاثة أيام يسأل عنه؛ فإن كان مريضاً عاده، وإن كان حاضراً زاره، وإن كان مسافراً دعا له، فقد روي عن أنس أنه قال: «كان رسول الله ﷺ صلى الله عليه وآله إذا فقَدَ الرَّجُلَ مِنْ إِخْوَانِهِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ سَأَلَ عَنْهُ، فَإِنْ كَانَ غَائِباً دَعَا لَهُ، وَإِنْ كَانَ شَاهِداً زَارَهُ، وَإِنْ كَانَ مَرِيضاً عَادَهُ».

ولفت إلى أن هذا الاهتمام بأصحابه والعناية بهم يشعروهم بأهميتهم ومكانتهم عند رسول الله ﷺ، فلا يترفع عن زيارتهم، ولا يتأخر عن عيادة مرضاهم، ولا يترك الدعاء لمن كان مسافراً منهم بأن يرجعه إلى السلامة.

واستطرد قائلاً: كان رسول الله ﷺ يشعر كل من يجلس إليه بأهميته، فلكل واحد منهم نصيبه من

الاهتمام والعناية، حيث يعطي كل من جلس إليه نصيبه من وجهه حتى كان مجلسه وسمعه وحديثه ولطيف محاسنه وتوجهه للجالس إليه، فقد روى الإمام الحسين عليه السلام عن أبيه الإمام علي عليه السلام قوله: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله... يُعطي كلِّ جُلُوسائِهِ نَصيبَهُ، لا يَحسَبُ جَلِيسُهُ أنَّ أحدًا أكرمُ عَلائِهِ (منه)».

ولفت إلى أن من خلقه صلى الله عليه وآله كان لا يمد رجله أمام الناس احتراماً لهم، فقد قال الإمام علي عليه السلام- في أوصاف النبي صلى الله عليه وآله-: «وما رؤي مُقَدِّمًا رجلاً بين يدي جَلِيسٍ لَه فَطَّ».

وأكد على أهمية الترحيب بالقادم والحفاوة به، وأن ذلك يعد من مظاهر الاهتمام بالآخرين، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يحتفي بالقادم إليه، ويرحب به أشد الترحيب، ويشعره بأهميته، ومن مظاهر ذلك عند رسول الله صلى الله عليه وآله التوسعة في المجلس للقادم، فقد روي: «دَخَلَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ رَجُلٌ الْمَسْجِدَ وَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ جَالِسٌ وَوَدَّهُ، فَتَزَحَّجَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَه، فَقَالَ الرَّجُلُ: فِي الْمَكَانِ سَعَةٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: إِنَّ حَقَّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ إِذَا رَأَهُ يُرِيدُ الْجُلُوسَ إِلَيْهِ أَنْ يَتَزَحَّجَ لَه».

وأضاف: من مظاهر ذلك أيضاً إلقاء الوسادة للقادم إليه إكراماً له، وترحيباً به، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يكرم من يدخل عليه بالوسادة التي تحته، وربما بسط له ثوبه، إذ ورد أنه: «كان يكرم من يدخل عليه حتى ربي ما بسط ثوبه، ويؤثر الداخل بالوسادة التي تحته». وفي نص آخر: «وكان يؤثر الداخل عليه بالوسادة التي تحته فإن أبي أن يقبلها عزم عليه حتى يفعل، وما استصفاه أحد إلا ظن أنَّهُ أكرم الناس عليه حتى يعطي كل من جلس إليه نصيبه من وجهه».

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله- لما دخل سلمان وهو مُتَّكئٌ على الوسادة فألقاها إليه-: «يا سلمان، ما من مُسْلِمٍ دَخَلَ عَلَيَّ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ فَيُلْقِي لَه الْوَسَادَةَ إِكْرَامًا لَه إِلَّا غَفَرَ اللَّهُ لَه».

وتابع: من مظاهر الاحتراف والقادم أيضاً: قول: (مرحبا) له، للتعبير عن الاهتمام والعناية بشخصه، فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «بالدُّاخِلِ دَهْشَةٌ فَتَلَقَّوهُ بِمَرَحَبًا».

ثم تحدث عن أهمية إتقان فن الإصغاء للآخرين، وأن ذلك من مظاهر الاهتمام بالآخرين أيضاً، وقد ورد في

السيرة النبوية: إن رسول الله ﷺ كان يصغي للمتكلم حتى ينهي حديثه، ولا يقطع عليه كلامه، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على احترامه للناس، وإشعار المتكلم بأهمية حديثه وكلامه، حتى وإن كان في الواقع لا قيمة له.

فقد أشار الإمام علي عليه السلام إلى هذه الصفة في رسول الله ﷺ صلّى اللّٰهُ عليه وآله، فقال: «وإذا تكلمت عنده أحد أنصتوا له حتى يفرغ من حديثه... ولا يقطع علم أحد حديثه حتى يجوز فيقطعه بهي أو قيام».

وعن أنس قال: «مما رأيت رجلاً أتتكم أذن النبي صلّى اللّٰهُ عليه وآله [وآله] وسلاماً فيؤذخني رأسه، حتى يكفون الرجل هو الذي يؤذخني رأسه، ومما رأيت رجلاً أخذ بيده فتترك يده حتى يكفون الرجل هو الذي يدع يده».

وقال: إن حسن الإصغاء إلى المتحدث من الأخلاق الإسلامية، وفي نفس الوقت على المتكلم أن يختصر في كلامه، وألا يطيل في الكلام، فقد قال الإمام علي عليه السلام: «آفة الكلام الإطالة»، وعنه عليه السلام قال: «إيّاك وكثرة الكلام؛ فإنه يكثر الزلل ويورث الملال».

وأوضح أن من تجليات ومظاهر إظهار الاهتمام بالآخرين أيضاً في سيرة رسول الله ﷺ مساعدة أهل الحاجة، وقضاء حوائجهم، والاستماع إلى قضاياهم، والتعاطف معهم، قال الإمام علي عليه السلام: «مَنْ جالسه صابره حتى يكون هو المنصرف عنه، مَنْ سألته حاجة لم يرجع إلا بها أو بميسور من القول، فد وسع الناس منه خلقة، وصار لهم أباً رحيماً وصاروا عنده في الحق سواء... ويؤثرون ذاك الحاجة، ويحفظون الغريب».

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «... وما من دع سائل إلا قاط، إن كان عنده أعطى وإلا قال: يأتني الله به».

وبيّن أن رسول الله ﷺ كان من اهتمامه بأهل الحاجة أنه كان يخفف صلاته حتى يقضي حوائج المحتاجين، فقد ورد عن حمل الأسفار- في آداب رسول الله صلى الله عليه وآله- قال: «كان لا يجلس إليه أحد وهو يمسلي إلا خفف صلاته وأقبل عليه، فقال: ألك حاجة؟ فإذا فرغ من حاجته عاد إلى صلاته».

وختم الشيخ اليوسف خطبته بالدعوة إلى استلهام هذا الدرس المهم في السلوك الإنساني من سيرة رسول الله ﷺ ، لأن (منح الآخرين الاهتمام) يؤدي إلى بناء العلاقات الإنسانية الناجحة، وهذه القاعدة الإنسانية تترك أثراً جميلاً في نفوس من تتعامل معهم، فلا شيء يبقى أثره كالاتمام والعناية المخلصة مع من نخالط ونجالس من الناس.

وأضاف: إذا أردت أن تكون محبوباً في نظر الآخرين امنحهم العناية والاهتمام الذي يليق بهم، فالاهتمام يعبر عن مشاعر الحب والود تجاه من نهتم بهم.

واعتبر أن التخلق بهذا الخُلُق الجميل يضيف على الشخصية القدرة على التأثير والتوجيه والإرشاد، كما يساعد المرء على النجاح في الحياة الخاصة والعامة.

وأكد على أن من أهم القواعد في نجاح الحياة الزوجية، وتقوية العلاقات مع الأصدقاء والمعارف والزلاء وغيرهم هو منحهم الاهتمام والتقدير، فأصبغ على من حولك ما يستحقونه من اهتمام وعناية وتقدير واحترام، تترك في نفوسهم أثراً طيباً لا يصدأ، وذكريات جميلة لا تنسى، ومحبة عميقة لا تبرد، وود قوي لا يفتر.